خبز الفداء ...

قصة بقلم سميرة عزام

ود حين ناوله ابراهيم غليونه محشوا بالتبغ لينفس به عن آلمه لو يدعه يتصرف كطفل فيبكي .. انه يشعر بالدموع تنبجس وتفرق عينيه فيدير راسه ويمسحهما خفية بطرف كمه ، ويروح يداري اله الخجول بان يمد راسه من فوق المتاريس ، ثم يلتفت لرفاقه فيجد في سكونهم تفجعا يدفع الدمع الى عينيه ثانية ويرى كل شيء في هذا الليل الصامت الذي يطل عليه هلال غائم بعيد ألما يجسد انسحاقه .. وكان كل ما في الكون يدري بان له حكاية وان اكثر ما يشتهيه في هذه اللحظة ان يمارس ترف الحزن بتلقائية ، فهو الساعة اضعف من ان يصطنع اي جبروت واكثر ما يريده هو ان ينفض اخوانه من حوله قليلا ليعود انسانا يخلع قناع الصلابة ويبكي ، يبكي بلا خجل .. ورفع كمه يمسح عينيه واحس بخيوط القميص الصوفي تخدش جفنيه .. وتذكره بتعويذتها التي يلبسها والتي سترد عنه ـ كما قالت ـ كل رصاصة غدارة .

اجل انه يتذكر تلك الليلة ...

ليلة كهذه هلالها صغير وبردها يقرص الاجساد وكان مكلفا بحراسة مستشفى صغير اقامه الحرس القومي في بيت من بيوت المدينة مؤلف من أربع غرف حجرية وحديقة صغيرة ، وكانت اسرة المستشفى الثمانية مشغولة بثمانية جرحى حملهم اخوانهم بعد معركة انصبت النار فيها من مستعمرة نهاريا اليهودية على القرى العربية في قضاء عكا .. واحضروهم ليسعفوا بالمستشفى ثم اختارته لجنة الانضباط ليقوم بحراسة المستشفى الواقع في طرف من اطراف المدينة تفرقت فيه الدور وتباعدت. اجل باردة كانت الليلة ولم تحمه كوفيته ولا معطفه السميك من وخزات البرد اللاذع ، فكان ما يفتأ يتمشى ليمنع الدم من ان يتخثر في شرايينه ثم يعود اذا ما تعب ليتكيء الى جدار المستشفى قريبا من الباب .ويرقب من بعيد دور المدينة التي تنام نوما تهدده أية غارة مفاجئة .. ولا يدري كم كانت الساعة بالضبط فقد خبت الانوار الا تلك التي تتوج اعمدة الطرق العامة ، وسكت الليل الا من أصوات ابن آوى .. التي تبلغه من بعيد ..

اجل لا يدري كم كانت الساعة بالضبط حين شعر بها الى جانبه في ثياب التمريض البيضاء تساله اذا كان يريد فنجانا من الشاي ، انه لم يفكر في الشاي ولا في اي شيء اخر .. ولكنه احس بانه يريد اي جسم حار يشد اليه أصابعه المقرورة . فقبل شاكرا . ولما عادت تحمله اليه جرعه في اربع رشفات حتى لا يدعها تنتظر طويلا ولما رده اليها فارغا غمغم بكلمة شكر ، ولكنه فكر بعد ان انسحبت بانه كان من المناسب ان يلاطفها بسؤال ... وادار راسه يبحث عن ظلها خلف النافذة ولكنها لم تلح .. وفكر في أن يشكرها في الصباح .. ولكن من عساها تكون .. ان هناك ممرضتين وهو لم ير منها الا بياض ثوبها فكيف يتعرف عليها ؟ ولكنه في الليلة الثانية عزم ان يكون اكثر طراوة لو حملت له الشاي .. وانتظر طويلا ولكنها لم تحضر .. وقال في نفسه انها مشغولة عن شايه بمن هم احوج الى عطفها .. فلماذا لا يطرق الباب ويطلب الشاي بنفسه ؟ واستحيا ان يفعل .. فقد ترى في ذلك لونا من التحرش وليس ثمة شيء يؤذي احساسه مثل ان يكون متطفلا على وجه ما .. ها قد خبت الانوار ونامت المدينة وحملته واخوانه مسؤولية السهر . وفي مثل هذا الوقت بالامس شرب شايها .. وفرك اصابعه التي أثلجتها ماسورة البندقية واشتهى شيئا حارا يبعث فيها الحرارة .. ورفع يده الى فمه لينفخ فيها واذ بشبحها الابيض يجبهه وبصوتها يقول .. « لقد احضرت لك شايك دون سؤال .. لن ترفضه بالطبع ..»

ورفع عينيه وحدق في وجهها .. ومد يده المقرورة ليحمل الفنجان .. وراى من اللياقة ان يقول لها شيئا قبل ان يشرب ..

« الا تجدين المهمة شاقة عليك ؟ »

وفي حدة لم يتوقعها ردت عليه :

« هل تجدني اضعف من الواجب ؟ »

« انا .. لا لا ابدا .. »

ولم يدر ما يقول فرفع الفنجان الى شفتيه ، وجرعه بسرعة سلقت حلقه .. واعاده اليها دون شكر . ولما ابتعدت قليلا .. ناداها .. لماذا لا يسألها عن اسمها .. ماذا في الامر ..

« يا آنسة » ..

وقفت ..

وتقدم منها : « آسف .. هل يمكن لي أن اعرف اسمك ؟ » وضحكت قبل ان تقول ..

« لم لا .. نحن هنا اخوة .. اسمي سعاد » ورد عليها : « وانا رامز . ورفاقي يسمونني العريف ، الا نتصافح » ؟ واعطته يدها ضاحكة ثم انسلت بخفة كما جاءت ..

سعاد .. عجيب وهذه سعاد أيضا .. يبدو ان له حظا مع الاسم .. فقبل ايام قدمت اللجان النسائية في البلد هدية الى الحرس القومي

من القمصان الصوفية والبطانيات .. قامت بحياكتها فتيات المدينة وكان في كل جيب بطاقة تحمل اسم الفتاة التي حاكتها وعبارة تشجيعية قصيرة . انه ما يزال يحتفظ بالبطاقة .. ومد اصابعه وتحسسها واخرجها ثم اشعل عود ثقاب اضاءت معه الحروف « سعاد وهبي » وتحت الاسم كانت هذه العبارة (ارجو ان تكون من نصيب بطل)

واكلت النار العود واختفت الكلمات فأعاد البطاقة الى جيبه ... اتكون هي .. لو كانت هي بنفسها افلا تكون صدفة حلوة ؟ والتفت الى الباب .. ولكنه كان مغلقا ..

وفي الليلة الثالثة تعمد ان يبدأ نوبة الحراسة باكرا ليجد مجالا لدخول المستشفى والسؤال عن الجرحى ... كان الباب مفتوحا فدخل ... ورآها تحمل صينية عشاء لاحد الجنود فحياها .. وسالها اذا كان بوسعه ان يزورهم .. فقالت .. « لم لا . اريدك ان ترى حسان .. ليقص عليك قصة المعركة.لقد سمعتها منه عشرين مرة ، ولن يؤذيني ان أسمعها للمرة الحادية والعشرين » وتبعها ..

وامام سرير حسان المضمد الرأس وقف كما وقفت هي وضحكا وهما يستمعان الى الجريح يقول .. « ان الاخت سعاد ممرضة صارمة تريد لي ان اتمدد كالجثة وتحرم علي التدخين باخفائها سجائري .. » واتيح لرامز ان يلحظ وهي تضحك ان لها اسنانا شديدة البياض وان لعينيها بريقا يعكس ارادة لا ترد ... وشجعه الجو على أن يسأل حسان ..

« ولكن الا توافقني على انها طيبة » ..

« طيبة ؟ انها اطيبهن جميعا .. أكثر طيبة من امي العجوز .. ما تفتأ تدور بيننا تسقي هذا وتطعم ذاك وتلبي اجراسا تقرع في كل الغرف ، فاذا وجدت لحظة للراحة جلست قريبا من الباب وشغلت نفسها بالحياكة .. »

« حياكة ؟ »

وتذكر القميص ومد يده فحل ازرار معطفه السميك وسترته وكشف عن قميصه الذي يرتديه واقترب خطوة منها وقال ..

« اتعرفين هذا القميص ؟»

« اوه .. أكان من حظك ؟ »

« الا استحقه ؟ »

« بلى »

« انني احتفظ بالبطاقة .. لاتذكر دائما مسؤولية البطولة » ... واستدعاها جرس ملحاح فتركته وحسان الذي ساله عن سيجارة اقسم الا يدخنها الا اذا سمحت له ..

*

ومضى اسبوعان وتمائل الجرحى للشفاء ففادروا المستشفى الا واحدا نقل الى مستشفى إخر .. وانتهت مهمته في الخفارة وعاد الى عمله في تدريب طوابير الفتيان على حمل السلاح . وكان يستقبل طابورا ويودع غيره حتى اذا هبط الظلام حمل بندقيته ومضى الى الخفارة الليلة فلا يعودالا وقد تلونت السماء باضواء فجرية ليرتمي على سريره الحديدي في الغرفة الوحيدة التي تشكل بيته .. وعندها يجد وقتا ليفكر فيها ..

لقد انقضى اسبوع لم يرها خلاله فاين عساها تكون .. لماذا يحس بانه مدفوع الى الاهتمام بها ، مدفوع الى محبة القميص الذي حاكته ؟.. ولقد اكتشف بالامس شيئا ، فحين قام يلبس في الصباح حمل القميص في يده وراح يتامله .. لقد عاش اياما بين يديها وهي تبنيه غرزة على غرزة دون ان تدري لمن يكون .. لعلها رسمت في ذهنها صورة للرجل الذي سيرتديه وهي بالتاكيد قد اختارته ان يكون طويلا عريض الكتفين.. رجلا تعلق فيه أمل البطولة .. والتفت الى نفسه في المرآة المعلقة على الحائط .. وتحسس ذراعيه المفتولتين وضحك على سخفه وهو يتأمل نفسه .. ولكن أي ضير ان يكون سخيفا فيرفع مثلا القميص ويشمه طويلا ويقبله ايضا ؟ ..

ورآها في الطريق .. لم تكن في ثياب الممرضات .. فاعترض طريقها قائلا ..

« كدت لا اعرفك فما كنت يوما الا بيضاء .. »

واعطته يدها يصافحها وقالت ..

« لقد غادر مرضانا المستشفى .. انني لا اجد ما افعله اليوم .. وانت ماذا تفعل ؟

« طوابير تدريب في النهار ، خفارة في الليل ، ولا شاى .. »

ورنت ضحكتها الفضية .. وضبطته يتطلع اليها فاحمرت .. وهمت بان تمضي وبسرعة قبل ان يضعف امام خجله سألها شيئا ..

« ارجو الا تظنينني وقحا .. هل أستطيع ان اراك في مكان ما .. ؟ »

« بلدتنا اصغر من ان تسع لنا .. »

« ولكننا اخوان سلاح .. انني ادرب طوابير من الجنسين على استعمال السلاح .. تعالى الى نادي الميناء سنتحدث قليلا بعد ان افرغ من التدريب ..

واتفق على حضورها في الثالثة ثم انهمك في تدريب طابور ناعم كيف يقف وقفة لا ترتعش تحت بندقية ثقيلة .. ولمحها تدلف .. فتجاهلها حتى انتهى وصرف تلميذاته واتجه يحييها ويقدم لها كرسيا ويسحب لنفسه آخر . .

ـ الا تتعب ؟..

ـ واينا لايتعب ؟ .. ولكنني بعد ان عرفت ما يدور في مستعمرات اليهود من تأهب وتعبئة قوى تمنيت لو كان يومنا ستين ساعة .. ان امامنا عمليات رهيبة ..

ـ اخائف انت ؟ ..

ـ متحسب .. لسنا في موقف هين .. يخيل الي ان اليهود زرعوا مواسمهم اسلحة .. وملاءوا بطون مستعمراتهم بها .. لقد اكتشفنا اشياء كثيرة ..

ـ هل ذهبت بنفسك ؟ ..

ـ كثيرا قبل ان يتوتر الموقف .. اما الان فلا استطيع ، انني على لائحتهم السوداء ..

ورآها تتامله ثم انفرجت شفتاها وتألقت في عينيها تلك النظرة الحازمة ..

ـ اتدري لقد بت اصدق انك بطل ؟ ..

ـ بطل .. لا اظن .. ولكن بطاقتك توحي الي بان اكون .

ـ اما تزال محتفظا بها ..

ـ هي ذي ...

واعطاها لها ، ولما مد يده ليسترجعها ضغط على يدها قليلا ثم ارخاها ، وتركها تداري خجلها متطلعا الى البحر الازرق امامه .

كان الوقت ربيعا .. وربيع فلسطين بحر ازرق تتهادى عليه اشرعة المراكب البيضاء نهارا وترصعه فوانيس قوارب الصيد ليلا وبساتين برتقال يكثف عبقها الهواء .. وفي ربيعه ذاك عرف شيئين .. الحب

والحرب .. وكان الاول يعطي معنى للثاني . فالحرب ليست عدوا يقتل لشهوة انما هي حق حياة للارض التي يحب ، والفتاة التي يحب ، ان فلسطين ليست بحرا ومراكب صيادين ، وليست برتقالا يتعلق كالذهب ،وليست زيتونا يملأ الخوابي .. انها عينا سعاد السوداوان ايضا .. وفي عيني سعاد راى خير فلسطين كله .. رأى ظل بيت سعيد له . وزوجة تنجب له ابطالا صغارا .. وتجعل من حبها معنى لوجوده ..

ومع كل اطلالة يوم .. كان يستقبل خيالها .. جنبا الى جنب مع انباء المعارك في صحف الصباح .. معركة القسطل ، هجوم قومه من مثلث الرعب على قرى اليهود .. غاراته واخوانه على مصفحات اليهود المتسللة عبر طريق حيفا ـ عكا ـ نهاريا ـ ، بطولة قومه في سلمه ، في كل مكان ..

ثم كانت كارثة حيفا ..

لن ينسى ذلك المساء ..

كان مشغولا بصف التدريب .. حين التفت الى البحر فاذا بعشرات المراكب محملة بالناس .. وتجمهر اهل مدينته على السور وفي منطقة الميناء يستطلعون .. كانوا على علم بالمعارك التي تدور في حيفا وكانوا يدرون ان سلطات الانتداب قد مكنت لليهود من المراكز المحصنة سرا في حين ادعت انها لن تتخلى عن المدينة الا بعد انتهاء فترة الانتداب بشهور ، ولكنها فجأة اعلنت عن اضطرارها لاخلاء المدينة ..

وانصب الهول من الكرمل على العرب الذين يعيشون في السفوح ومهدت السلطة لحالة ذعر بحرب اشاعات فتحت معها الميناء واطلقت سفنها تحمل كل راغب في رحيل ، فتكدسوا فيها والنار تلفظ هولها عليهم من الجبل ..

ولفظتهم السفن على ساحل عكا .. كتل بشرية .. يئن بعضها من الجروح ، وبعضها من الجوع ، وبعضها من الفزع ..

وامتلأت بيوت مدينته ، مساجدها ، اديرتها ، ساحاتها بهم .

وتحملت مدينته الصغيرة عبء تدبير طعام ومأوى لهذه الالاف ..

وفي تلك الليلة رأى سعاد مع عشرات المتطوعات يستقبلن الجرحى في الميناء ويوزعنهم على المستشفيات والبيوت .. وبدأت حرب الاشاعات تلعب في الاعصاب ..

استيقظ في صباح اليوم التالي على قرع شديد على باب غرفته وفتح الباب وذهل اذ رآها .. كانت تبكي ..

قالت له ان اخاها قد دبر شاحنة حشد فيها كل ما يحمل ثم وضع فيها زوجته واطفاله ونفسه ليرحلوا الى لبنان .. وان عشرين اسرة من حيها قد فعلت فعله ..

وقد فرض عليها ان تصحبهم فرفضت وقاومت فضربها فلم تجد امامها الا الفرار ..

انها آخر من يسافر ..

وأذهلته المفاجأة .. لم يدر ما يقول لها وظل صامتا ، ولما قرعت صدره بقبضتها سأل « هل فعت هذا بسببي ؟ » وانفجرت في وجهه .. « لا ليس بسببك ..صحيح انني احبك .. ولكنك لست كل شيء »

قالتها وانصرفت .. وفتح الباب وخرج الى المدينة ليجد عشرات السيارات كبيرة وصغيرة محملة وفارغة وقد اطلقت دواليبها للريح .. وخلته مذهولا .. لا يدري هل يبكي ، هل يصيح ؟ هل يقذف هذه السيارات بحجارته ؟ ..

وفي اسبوع فرغت المدينة الا من شاكي السلاح .. ومن بضع ممرضات توزعن على المستشفيات الصغيرة . ومن النازحين اليها من حيفا او القرى .. ولم يعد يجد وقتا للقاءاته بسعاد .. فاعداؤه في الشمال وفي الجنوب يتربصون الفرص ليطبقوا على المدينة .. كان في النهار يتسلل الى القرى يجمع البنادق والذخيرة ، اما لياليه فللحراسه مع خمسة غيره يقبعون وراء المتاريس المقامة على ظهر مصنع للسجائر ... تعطل فيه العمل .. كان لا بد للمدينة من الصمود حتى تبدأ معركة اخرى على مستوى جيوش بعد انتهاء فترة الانتداب ..

هذه هي مهمته التي رسمتها اللجنة القومية للمدينة .. وحين كان يجد وقتا يسترخي كان يجد وقتا ليفكر بسعاد وليتساءل كيف تراها تعيش وتحت اية ظروف ، وصعق مرة حين رآها امامه كانت تلتف بمعطف وقد حملت صرة كبيرة ..

وحار كيف يتلقاها ولكنها هونت عليه الامر حين فتحت الصرة وقالت موجهة حديثها لكل الرفاق « لقد خشيت اللجنة ان تفرغ مؤونتكم فتطوعت لحمل هذه الاشياء . »

وفتحت الصرة على خبز وسجائر وحلوى ، وفتحت عينيها على نظرة له دلقت كل شوق العالم ، فاثارت انفعاله لدرجة ود معها لو يضمها امام رفاقه جميعا ..

ولقد راى من حقه وحده ان يمشي معها قليلا وهي عائدة وان يمسك باطراف اصابعها بيد مرتعشة ثم يرفعها الى فمه دون ان يجد ما يقوله غير ان يتوسل اليها الا تعاود مثل هذا الجنون ، ثم ابتعدت ووقف يرقبها حتى ابتلعها احد المنعطفات ..

وتكررت زيارتها ..

لم تكن تلبث اكثر من دقائق ولكنها كانت كافية لتشحن احاسيسه وانفعالاته بشكل يتعبه ويسعده معا ! ..

الى ان كان اول الاسبوع ..

واشتدت المعركة وجأرت النار طيلة ليلتين ونهار كامل وقسم من النهار الثاني ..

كانت سيارات اليهود المصفحة تتجه على الطريق العمومي الى نهاريا . وكان عليهم ان يقطعوا عليها الطريق بالمدافع المبثوثة على الدور القريبة من الطريق ..

ولم تهدأ المعركة الا في الثالثة من عصر اليوم التالي ، فانفضوا عن المتاريس واستلقى بعضهم على الارض ونزل هو يغتسل من حنفية الحديقة تمهيدا لزيارة للمدينة يستفهم فيها عن خطة الحرس القومي في سحب السيارات المصابة الى داخل المدينة .

وكان الصابون يغمر وجهه حين انبعث صوت رصاصة فثانية فسارع يزيل الصابون عن عينيه حين ثقب اذنيه صوتها ..

والتفت الى باب الحديقة فراها تمرق منه .. وصرتها بيدها ، اما الاخرى فكانت على صدرها .. لم يصدق ان بها شيئا وقد كانت واقفة على قدميها ولكنها ما لبثت ان ارتمت عليه وبدأ الدم يندلق من صدرها فسد جرحها بيده ونادى على رفاقه الذين سارعوا بالقاء ستراتهم لتمتص دمها المسكوب .. وفتحت فمها لتقول شيئا ولكن الحشرجة خنقت كلماتها ثم انتهى كل شيء بشهقة ..

حدث هذا بسرعة لم يصدقها .. دقائق وضعت حدا لكل شيء فكيف كيف لم يجمد الزمن ؟.. كيف تركها تموت ، كيف لم تنتفض تحت قبلاته نداءاته الملتاعة .. كيف لم ترتعش تلك الجفون وهي تشرب كلمات حبه الاولى ..

ماتت .. كيف ورائحة شعرها في انفه ماتزال .. وحرارة يدها تأكل كفه ، وطعم شفتيها الرطبتين على شفتيه .. لم يكن في نظرتها موت ، في عينيها اللتين تتحديان اي‌شيء .. كان فيهما حب ووعد بالحياة ..

ويفرك عينيه يطرد الكابوس ويشد على الفليون الذي قدمه له ابراهيم فلا تنفرز اظافره في راحته وهو يقرأ في عيون رفاقه ..

أجل ماتت وانتزعناها منك ودفناها على الرابية هناك وزرعنا على قبرها علما وكرسناها بطلة ..

كانت حبك فباتت رمزنا جميعا .. ابراهيم ، ووديع ، وصالح ، واحمد وعبد الله ..

*

خط اصفر نحيل وبضع نجيمات .. ولا شيء الا العتمة واطراف السجائر المتوهجة ، وهم امام المتاريس بلا نوم أو طعام أو شراب ..

وانقضت الليلة هادئة الا من مناوشات في الفجر ثم سكت كل شيء واستسلمت الرؤوس المتعبة الى نوم يفسده الجوع وتوقع الخطر ..

ومع الفجر فرك عبد الله عينيه وسأل وهو يتطلع في الصناديق الخشبية المركونة جانبا « اما من شيء ناكله ؟ » ... .ورد وديع « هناك الارغفة » ...

وسكت ..

أرغفة سعاد لماذا لايقولونها وكانت ملوثة بدمها فأي ادام تعس لخبزها سم ؟..

لقد بدأوا يجوعون بشكل لايطاق وباتوا عاجزين حتى عن الوقوف ..

وكان رامز يشعر بان الظروف تتكاتف على امتحانه بشكل مذل وبانه ما من واحد من رفاقه سيجرؤ على ان يقرب الارغفة الا اذا عرضها هو ..

وغطى عينيه بيديه : أهناك تعاسة بعد تعاسة اضطراره الى ان يطعم دمها رفاقه ..

وتطلع الى اخوانه ، كان عبد الله مستلقيا على بطانية ، وكذلك صالح وكان احمد جالسا على كيس من الرمل وهو يضغط بطنه بيديه ..

ان الواحد منهم مستعد لان يأكل جثة كلب ولكن يدا منهم لم تمتد الى الارغفة المعمدة بالدم .. لقد كان عليه ان تأتي البادرة منه .. ماذا يقول لرفاقه .. « خذوا فقد وهبتنا سعاد الخبز والادم .؟ »

وأطرق قليلا ، ثم تحامل على نفسه ووقف .. اذا كان هو يستفظع من الفكرة فأن عليه ان يمضي الى المدينة ليتدبر لهم مايأكلونه ...

وحاول ان يقف ولكنه كان ظاهر الخور .. وأدرك رفاقه ماذا يبغي من وراء ذهابه للمدينة ان اية رصاصة ستصطاده كعصفور صغير ... فالمنطقة الخلاء بين مركزهم والعمران كبيرة ومكشوفة .. ومرور سيارات مصفحة تحمي نفسها باطلاق الرصاص في كل الاتجاهات متوقع في أي لحظة .. وأمسك صالح به من كتفه واضطره الى الجلوس فجلس لتتوثب في رأسه طيوف معركة بين جوعه وجوع رفاقه وبين الارغفة الحمراء التي كانت ماتزال مكومة في الزاوية مصورة كما حملتها سعاد.

ان التجربة شيء يجرح اعصابه ولكن شراء حياة خمسة أمر يجب ان لايخضع لاحساسه الرهيف .. ولكن الا نغضب سعاد .. ألا تزدري حيوانيتهم وقد تمكنوا من ازدراء خبزهم مغموسا بدمها .. وأغمض عينيه بألم .. وراح يطرد الصورة بعنف .. وماذا لو اطعمهم .. ان افتداء الحياة بالجسد وبالدم شيء في صلب عقيدته الدينية .. فاين اين الخطيئة اين الحيوانية ، اين بلادة الاحساس في أكل خبزات سعاد ؟

وانفرجت الغمامات التي في رأسه .. لماذ لايتبصر في الامر ناحية كان غافلا عنها ، فهو لو أكل فسيستقر دم سعاد عمليا في جسمه ، سيشبع شيئا يلتحم في كيانه .. وسيستمد منه قوة تدفعه الى الانتقام ..

لقد اذكى موت سعاد في اعصابه شهوات للانتقام لايدري كيف ترتوي ومتى وأين .. فهل يختار ان يموت جوعا ككلب ويميت معه خمسة .؟ صحيح ان كثرة تعاملهم مع الموت قد سلبه تلك الصورة المستفظعة ولكنه مهما اعطى الحق في اختيار الميتة التي يشاء فلن يختار ان يموت جوعا .. سعاد نفسها ترفض ذلك ، لبطل !! وارتعش بألم ..

لقد اكتشف انه في الليلة الاخيرة قد فكر في جوعه اكثر مما فكر بسعاد .. لقد عطلت غريزة جوعه كل احاسيسه الاخرى ..

وتطلع الى اخوانه .. سيناديهم وسيلتفون حوله ككاهن في كنيسة شرقية وبكل الجو الشعائري الذي يقدم به الكاهن خبز المسيح سيقول لهم « كلوا .. هذا هو جسدي .. وهذا دمي فاشربوا .. » وسيأكل هو من الاكسير ايضا .. وسيستقر شيء من سعاد في احشائه ، شيء ما يفتأ يتململ ويضج ويذكره بأن عليه ان يعيش لينتقم ..

وقام متحاملا على نفسه الى الزاوية وفتح الصرة باصابع ترتجف .. وحمل الارغفة وادناها من شفتيه .. واقترب من رفاقه راكعا وقدمها لهم .. « كلوا .. ان سعاد لاترضى لنا ان نموت جوعا .. »

وغامت الدنيا في عينيه ، ووقع على الارض فاقد الشعور .

سميرة عزام

مع الباعة وفي المكتبات ، الثمن ٢٠٠ ق.ل.